



جمهورية العراق
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة الموصل / كلية الآداب
مجلة آداب الرافدين

مَجَلَّةُ

آدَابِ الرَّافِدِينَ

مجلة فصلية علمية محكمة

تصدر عن كلية الآداب - جامعة الموصل

العدد التسعون / السنة الثانية والخمسون

صفر - ١٤٤٤ هـ / أيلول ١٥ / ٢٠٢٢ م

رقم إيداع المجلة في المكتبة الوطنية ببغداد : ١٤ لسنة ١٩٩٢

ISSN 0378- 2867

E ISSN 2664-2506

للتواصل: radab.mosuljournals@gmail.com

URL: <https://radab.mosuljournals.com>



المجلة العراقية للدراسات والبحوث

مجلة محكمة تعنى بنشر البحوث العلمية الموثقة في الآداب والعلوم الإنسانية
باللغة العربية واللغات الأجنبية

العدد: التسعون السنة: الثانية والخمسون / صفر - ١٤٤٤هـ / أيلول ٢٠٢٢م

رئيس التحرير: الأستاذ الدكتور عمار عبداللطيف زين العابدين (المعلومات والمكتبات) كلية الآداب/ جامعة الموصل/ العراق

مدير التحرير: الأستاذ المساعد الدكتور شيبان أديب رمضان الشيباني (اللغة العربية) كلية الآداب/ جامعة الموصل/ العراق

أعضاء هيئة التحرير :

الأستاذ الدكتور حارث حازم أيوب	(علم الاجتماع) كلية الآداب/جامعة الموصل/العراق
الأستاذ الدكتورة وفاء عبداللطيف عبد العالي	(اللغة الإنكليزية) كلية الآداب/ جامعة الموصل/ العراق
الأستاذ الدكتور مقداد خليل قاسم الخاتوني	(اللغة العربية) كلية الآداب/ جامعة الموصل/ العراق
الأستاذ الدكتور علاء الدين أحمد الغرابية	(اللغة العربية) كلية الآداب/جامعة الزيتونة/الأردن
الأستاذ الدكتور قيس حاتم هاني	(التاريخ) كلية التربية/جامعة بابل/العراق
الأستاذ الدكتور مصطفى علي الدويدار	(التاريخ) كلية العلوم والآداب/جامعة طيبة/السعودية
الأستاذ الدكتورة سوزان يوسف أحمد	(الإعلام) كلية الآداب/جامعة عين شمس/مصر
الأستاذ الدكتورة عائشة كول جلب أوغلو	(اللغة التركية وآدابها) كلية التربية/جامعة حاجت تبه/ تركيا
الأستاذ الدكتورة غادة عبدالنعم محمد موسى	(المعلومات والمكتبات) كلية الآداب/جامعة الإسكندرية
الأستاذ الدكتور كلود فيننثز	(اللغة الفرنسية وآدابها) جامعة كرنوبل آلب/فرنسا
الأستاذ المساعد الدكتور أرثر جيمز روز	(الأدب الإنكليزي) جامعة درهام/ المملكة المتحدة
الأستاذ المساعد الدكتور سامي محمود إبراهيم	(الفلسفة) كلية الآداب/ جامعة الموصل/ العراق

سكرتارية التحرير :

التقوم اللغوي: م.د. خالد حازم عيدان	— مقوم لغوي/ اللغة العربية
م.م. عمّار أحمد محمود	— مقوم لغوي/ اللغة الإنكليزية

المتابعة:

مترجم. إيمان جرجيس أمين	— إدارة المتابعة
مترجم. نجلاء أحمد حسين	— إدارة المتابعة

قواعد تعليمات النشر

١- على الباحث الراغب بالنشر التسجيل في منصة المجلة على الرابط الآتي:

. <https://radab.mosuljournals.com/contacts?action=signup>

٢- بعد التسجيل سترسل المنصة إلى بريد الباحث الذي سجل فيه رسالة مفادها أنه سجّل فيها، وسيجد كلمة المرور الخاصة به ليستعملها في الدخول إلى المجلة بكتابة البريد الإلكتروني الذي استعمله مع كلمة المرور التي وصلت إليه على الرابط الآتي:

. <https://radab.mosuljournals.com/contacts?action=login>

٣- ستمنح المنصة (الموقع) صفة الباحث لمن قام بالتسجيل؛ ليستطيع بهذه الصفة إدخال بحثه بمجموعة من الخطوات تبدأ بملء بيانات تتعلق به وبحثه ويمكنه الاطلاع عليها عند تحميل بحثه .

٤- يجب صياغة البحث على وفق تعليمات الطباعة للنشر في المجلة، وعلى النحو الآتي :

• تكون الطباعة القياسية على وفق المنظومة الآتية: (العنوان: بحرف ١٦ / المتن: بحرف ١٤ / الهوامش: بحرف ١١)، ويكون عدد السطور في الصفحة الواحدة: (٢٧) سطرًا، وحين تزيد عدد الصفحات في الطبعة الأخيرة عند النشر داخل المجلة على (٢٥) صفحة للبحوث الخالية من المصورتات والخرائط والجداول وأعمال الترجمة، وتحقيق النصوص، و (٣٠) صفحة للبحوث المتضمنة للأشياء المشار إليها يدفع الباحث أجور الصفحات الزائدة فوق حدّ ما ذكر آنفًا .

• تُرتّب الهوامش أرقامًا لكل صفحة، ويُعرّف بالمصدر والمرجع في مسرد الهوامش لدى وورد ذكره أول مرة. ويلغى ثبت (المصادر والمراجع) اكتفاءً بالتعريف في موضع الذكر الأول ، في حالة تكرار اقتباس المصدر يذكر (مصدر سابق).

• يُحال البحث إلى خبيرين يرشّحانه للنشر بعد تدقيق رصانته العلمية، وتأكيد سلامته من النقل غير المشروع، ويُحال – إن اختلف الخبيران – إلى (مُحكّم) للفحص الأخير، وترجيح جهة القبول أو الرفض، فضلًا عن إحالة البحث إلى خبير الاستلال العلمي ليحدد نسبة الاستلال من المصادر الإلكترونية ويُقبل البحث إذا لم تتجاوز نسبة استلاله ٢٠% .

٥- يجب أن يلتزم الباحث (المؤلف) بتوفير المعلومات الآتية عن البحث، وهي :

• يجب أن لا يضمّ البحث المرسل للتقييم إلى المجلة اسم الباحث، أي: يرسل بدون اسم .

• يجب تثبيت عنوان واضح وكامل للباحث (القسم/ الكلية او المعهد/ الجامعة) والبحث باللغتين: العربية والإنكليزية على متن البحث مهما كانت لغة البحث المكتوب بها مع إعطاء عنوان مختصر للبحث باللغتين أيضًا: العربية والإنكليزية يضمّ أبرز ما في العنوان من مرتكزات علمية .

• يجب على الباحث صياغة مستخلصين علميين للبحث باللغتين: العربية والإنكليزية، لا يقلّان عن (١٥٠) كلمة ولا يزيدان عن (350)، وتثبيت كلمات مفتاحية باللغتين: العربية والإنكليزية لاتقل عن (٣) كلمات، ولا تزيد عن (٥) يغلب عليهنّ التمايز في البحث.

٦- يجب على الباحث أن يراعي الشروط العلمية الآتية في كتابة بحثه، فهي الأساس في التقييم، وبخلاف ذلك سيُردّ بحثه ؛ لإكمال الفوات، أمّا الشروط العلميّة فكما هو مبين على النحو الآتي :

• يجب أن يكون هناك تحديد واضح لمشكلة البحث في فقرة خاصة عنونها: (مشكلة البحث) أو (إشكاليّة البحث) .

• يجب أن يراعي الباحث صياغة أسئلة بحثية أو فرضيات تعبر عن مشكلة البحث ويعمل على تحقيقها وحلّها أو دحضها علمياً في متن البحث .

• يعمل الباحث على تحديد أهمية بحثه وأهدافه التي يسعى إلى تحقيقها، وأنّ يحدّد الغرض من تطبيقها.

• يجب أن يكون هناك تحديد واضح لحدود البحث ومجتمعه الذي يعمل على دراسته الباحث في بحثه .

• يجب أن يراعي الباحث اختيار المنهج الصحيح الذي يتناسب مع موضوع بحثه، كما يجب أن يراعي أدوات جمع البيانات التي تتناسب مع بحثه ومع المنهج المتبع فيه .

• يجب مراعاة تصميم البحث وأسلوب إخراجه النهائي والتسلسل المنطقي لأفكاره و فقراته.

• يجب على الباحث أن يراعي اختيار مصادر المعلومات التي يعتمد عليها البحث، واختيار ما يتناسب مع بحثه مراعيًا الحدّات فيها، والدقة في تسجيل الاقتباسات والبيانات الببليوغرافية الخاصة بهذه المصادر.

• يجب على الباحث أن يراعي تدوين النتائج التي توصل إليها ، والتأكّد من موضوعاتها ونسبة ترابطها مع الأسئلة البحثية أو الفرضيات التي وضعها الباحث له في متن بحثه .

٧- يجب على الباحث أن يدرك أنّ الحُكْمَ على البحث سيكون على وفق استمارة تحكيم تضمّ التفاصيل الواردة آنفًا، ثم تُرسل إلى المُحكِّم وعلى أساسها يُحكّم البحث ويُعطى أوزانًا لفقراته وعلى وفق ما تقرره تلك الأوزان يُقبل البحث أو يرفض، فيجب على الباحث مراعاة ذلك في إعداد بحثه والعناية به .

تنويه:

تعبّر جميع الأفكار والآراء الواردة في متون البحوث المنشورة في مجلّتنا عن آراء أصحابها بشكل مباشر وتوجهاتهم الفكرية ولا تعبّر بالضرورة عن آراء هيئة التحرير فاقترضى التنويه

رئيس هيئة التحرير

المحتويات

الصفحة	العنوان
بحوث اللغة العربية	
٢٦ - ١	تنوع الأوجه الإعرابية للمرفوعات في كتاب (تمرين الطلاب في صناعة الإعراب) للشيخ خالد الأزهرى (ت ٩٠٥هـ) نسرين أحمد حسين الساداني ومحمد ذنون فتحي
٤٦ - ٢٧	الوعي بتاريخ العجم القديم في الشعر الجاهلي - الأكَاسرة أُنموذجًا - إسلام صديق حامد وباسم إدريس قاسم
٦٤ - ٤٧	التوجيه الصوتي لظاهرتي (الإظهار والإدغام) عند الهميضي (ت: ١١١٧هـ) في كتابه (إتحاف فضلاء البشر) - دراسة تحليلية - كلاله أحمد كلالي وعبداستارفاضل خضر
٨٤ - ٦٥	دلالة ظاهرة العدول في كتاب (معتزك الأقران) للسيوطي (ت ٩١١هـ) التذكير والتأنيث - أُنموذجًا - ليندا باكوز أبرم ومنال صلاح الدين الصقّار
٩٤ - ٨٥	الإشارات تمارة نبيل اليامور وأن تحسين الجلبي
١٢٨ - ٩٥	مقدمة في علم حروف الهجاء في باب الألف اللينة محمد بن يعقوب الفيروز آبادي (ت ٨١٧هـ) تحقيق ودراسة رافع إبراهيم محمد إبراهيم
١٦٢ - ١٢٩	التشبيه المرکّب في كتاب مداواة النفوس وتهذيب الأخلاق لابن حزم الأندلسي (ت: ٤٥٦هـ) علي عبد علي الهاشمي وشيماء أحمد محمد
١٧٦ - ١٦٣	الشاهد النحوي الشعري في شروح اللمع لابن جني (ت ٣٩٢هـ) معجم وتوثيق - باب المفعول المطلق أُنموذجًا - خالدة عمر سليمان و صباح حسين محمد
٢٠٤ - ١٧٧	التأويل في ضوء التداولية المعرفية نماذج مختارة من شعر محمد بن حازم الباهلي علاهاني صبري وعبدالله خليف خضير
٢٣٨ - ٢٠٥	التعليل الصرفي في الدرس اللغوي لأبنية الأفعال المزيدة عند ابن جني (ت: ٣٩٢هـ): الخصائص محورًا مصعب يونس طركي سلوم وهلال علي محمود
٢٥٨ - ٢٣٩	سيمولوجيا الاسم ودوره في تصوير البعد الاجتماعي للشخصية الروائية قراءة في رواية (رياح الخليج) لإبراهيم السيد طه حارث ياسين شكر المشاطة
٢٨٢ - ٢٥٩	الإظهار في مقام ضمير الرفع (المتصل، المنفصل) دراسة نحوية دلالية في كتاب رياض الصالحين من كلام سيد المرسلين للنووي ت ٦٧٦هـ فاتن سالم محمود ورحاب جاسم العطوي
٣١٢ - ٢٨٣	مرويات الأسعديّ من كتاب الجيم لأبي عمرو الشيباني جمع ودراسة سعد خطاب عمر
٣٤٢ - ٣١٣	موقف المستشرق غارسيه غومس من الشعر الأندلسي سعدية أحمد مصطفى

٣٧٠ - ٣٤٣	الخوف الديني في الشعر الأندلسي في القرن الخامس الهجري رغدة بسمان الصائغ وفواز أحمد محمد
٣٩٤ - ٣٧١	المرجعيات الثقافية في رواية يوليانا لنزار عبدالستار قيس عمر محمد
٤١٤ - ٣٩٥	شعرية العنونة في شعر أحمد جار الله محمد طه عبد المعين
٤٤٢ - ٤١٥	ميمية ابن الرومي في رثاء البصرة دراسة أسلوبية طارق حسين علي
٤٧٤ - ٤٤٣	المشتقات في القصائد المتعلقة دراسة صرفية دلالية معلقة زهير بن أبي سلمى أنموذجاً نجيب محمود علاوي
بحوث التاريخ والحضارة الإسلامية	
٤٩٤ - ٤٧٥	صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي (ت: ٥٧٦٤هـ/١٣٦٣م) وعلاقته بعلماء عصره نهال عبد الوهاب وناصر عبد الرزاق عبد الرحمن
٥٢٠ - ٤٩٥	حركة مجتمع السلم (حمس) ودورها السياسي في الجزائر أحمد خالد أحمد وسعد توفيق عزيز البزاز
٥٤٢ - ٥٢١	الجدور التاريخية للمغول والبداية الرسمية لقيام دولتهم سنة ٦٠٣هـ/ ١٢٠٥م زياد علاء محمود ونزار محمد قادر
٥٦٠ - ٥٤٣	محكمة العدل الدولية وقضايا العرب في المغرب العربي (١٩٧٣-١٩٩٨) قضية شريط أوزو نموذجاً أنسام أديب الضاحي ومجول محمد محمود
٦٠٠ - ٥٦١	هجرة القبائل من الجزيرة العربية الى العراق في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر وعلاقتها بالسلطة العثمانية هاشم عبد الرزاق صالح الطائي
٦٢٤ - ٦٠١	أزمة المياه وأثرها على دول حوض النيل من القرن العشرين ولغاية عام ٢٠١٥ إطلال سالم حنا
٦٤٢ - ٦٢٥	الملاحم الاقتصادية من خلال كتاب قوانين الدواوين لابن مماتي (٦٠٦هـ-١٢٠٩م) أشرف عبد الجبار محمد
٦٦٦ - ٦٤٣	الأحوال الاقتصادية في العصر الراشدي نشتيمان علي صالح
٦٩٠ - ٦٦٧	التحديات التي واجهت الملك فيصل ١٩٢١-١٩٣٣ عباس إسماعيل الرؤاس
٧١٤ - ٦٩١	جند السودان الغربي في عهد المرابطين وأسلحتهم فائز فتح الله الرعاش
بحوث علم الاجتماع	
٧٦٤ - ٧١٥	إضطرابات الأكل وعلاقتها بحل المشكلات لدى ربات البيوت في مركز مدينة أربيل مؤيد إسماعيل جرجيس و سلمى حسين كامل
٨١٨ - ٧٦٥	الحوار الديني وبناء السلام وترسيخ التعايش السلمي في العراق الحالي الحوار المسيحي-الإسلامي نموذجاً عذراء صليوا شيتو

بحوث الفلسفة

٨٤٢ - ٨١٩

الذاكرة والتذكر بين هنري برجسون وبول ريكور - مقارنة مفاهيمية
فنز ميسر سعيد و أحمد شيال غضيب

بحوث الشريعة والتربية الإسلامية

٨٦٨ - ٨٤٣

أثر السياق القرآني في ورود الصفات الخبرية الموهمة للتجسيم
ياسر عبد العزيز سيدويش و ظافر محمد عبدالله

بحوث المعلومات وتقنيات المعرفة

٨٩٢ - ٨٦٩

التحوّل لخدمات المعلومات الرقمية في المكتبات الجامعية العراقية
سلام جاسم عبدالله العزّي

بحوث علم النفس وطرائق التدريس

٩١٤ - ٨٩٣

تقويم كتاب مادة الأدب والنصوص للصف الرابع العلمي من وجهة نظر تدريسيها
عدنان حازم عبد أحمد

٩٧٢ - ٩١٥

المرونة المعرفية وعلاقتها بأساليب التعلم لدى طلبة كلية التربية للعلوم الإنسانية في
جامعة الموصل
شيماء طلب النجماوي

بحوث القانون

١٠١٠ - ٩٧٣

الإطار المفاهيمي لمنظومة الأمن العام
مصلح جميل أحمد و مجيد خضر أحمد

المرجعيات الثقافية في رواية يوليانا لنزار عبدالستار

قيس عمر محمد *

تأريخ التقديم: ٢٠٢١/١١/١٨ تأريخ القبول: ٢٠٢١/١٢/٢٦

المستخلص:

ينهض النص الروائي على تآزر نسيجي ما بين مرجعيات ثقافية سياقية، وما بين مرجعيات فنية نصية، تتعلق باشتراطات الجنس الأدبي وممكناته، وفي رواية يوليانا ثمة تعالق نسيجي بين هاتين البنيتين، ذلك أنَّهما تتخادمان على المستوى الفني الشكلي والدلالي العمقي، فالرواية بهذا التوصيف الفني تتشكل من بنية ثقافية وجمالية، تتمثل فيها مرجعيات ثقافية (تاريخية، دينية، مكانية) ومن ثم توظيفها بشكل جمالي نصي، وهذا يمنح النص الروائي بعداً إيحالياً خارج نصي، يحيل لسياقات ثقافية متنوعة، فرواية يوليانا لنزار عبد الستار تستثمر في السياقات الخارج نصية متمثلة بالمرجعيات الثقافية، لتقدم لنا مرجعية نصية جمالية، ومرجعية خارجية تتمثل بالتاريخ العام للشخصيات، والوقائع ذات البعد الوثائقي، والمرجعية المكانية الواقعية، التي تحيل لخصوصية هوياتية وانثروبولوجية، والمرجعية الدينية التناسية، التي تستحضر نصوصاً دينية وطقوساً كنسية، وأزياء ذات حمولات دينية.

الكلمات المفتاحية: مرجعيات، ثقافية، يوليانا.

المرجعيات الثقافية: الإحالة النصية/ السياقية:

إنَّ النص الأدبي بعامة يبقى مجرد علامات لغوية، لا يتحقق وجودها إلا بوجود القارئ، ومهمة القارئ إعادة ربط هذه العلامات اللغوية بسياقات إنتاجها وإحالاتها التي تقع خارج النص، وهذا يحيلنا للطبيعة التفاعلية ما بين النص بوصفه علامة لغوية، وبين القارئ بوصفه جسراً ما بين المتخيل النصي، والواقعي الخارج نصي، فالنص الأدبي ينهض على بنية نصية متخيلة وبنية واقعية خارج نصية، وما بين هاتين البنيتين ثمة مرجعيات ثقافية خارج نصية، تسهم في بناء وتشكيل بنية النص الروائي، وهناك تعريفات

* مدرس/المديريَّة العامَّة لتربية نينوى/وزارة التربية/جمهورية العراق.

متباينة لهذه المرجعيات، وهذا التباين ناتج عن طبيعة القراءة التي تسعى لتحقيق فاعلية النص الأدبي ثم تأويله، وهذا التأويل للنص هو من يحقق العلاقة التي تنشأ بين العلامة، وما تحيل عليه خارج النص، فالمرجعية " هي العلاقة بين العلامة وما تشير إليه"^(١)، فالإحالة العلامية وما تشير إليه يقع بعضها خارج النص بالضرورة؛ ذلك أن العلامة اللغوية قائمة على مواضع تعاقدية، ما بين القارئ والكاتب، وميدانها النص الأدبي، فطبيعة العلاقة التعاقدية تمارس ضرباً من الإرغام يحيل النص لسياقات انتاجه الخارجية، فالنص الأدبي بعامته، يقوم على توازن ما بين داخل النص وخارجه، المتخيل/ الواقع، وهذا يسحب القراءة من الحدود العلامية اللسانية ويربطها بالواقع الخارجي المادي وهذا يشير إلى طبيعة المرجعيات وعلاقتها الخارجية التي " تتطلق من وحدة سيميائية إلى وحدة غير سيميائية (المرجع) متعلقة بالسياق الخارجي عن إطار اللغة"^(٢). فالمرجعية تمثل العلاقات المتشكلة بين النص والسيقات الثقافية المتعددة المنتجة للنص، والتي تحيل المفردة أو الجملة عليها، فطبيعة الإحالة المرجعية قد تكون واقعية وثوقية خارج نصية أو مرجعية ذات طبيعة نصية، متخيلة لا تحيل إلا إلى النص، ومن هنا عدت المرجعية " العالم الذي يحيل إليه ملفوظ لغوي، علامة مفردة كانت أم تعبيراً مركباً، ويكون ذلك العالم إما واقعياً موجوداً حاضراً، وإما متخيلاً لا يطابق أي واقع خارج التعبير اللغوي، وهذا يستلزم بالضرورة من يدرك ذلك العالم أو يتمثله، ثم ينتج الدلالات التي يمكن أن يعبر عنها العالم المرجعي المعروض في التعبير."^(٣) فالمرجعية بهذا المعنى تمثل الروافد والبني المعرفية الخارج نصية و التي يتشكل منها النص.

إنّ المرجعيات عندما تدخل عالم النسيج اللغوي وأنساقه التركيبية، تأخذ مساراً آخر، إذ تصبح من لحمة النص وجسده الكلي، فلا يمكن عدّها شيئاً جامداً؛ لأنها حين تتبني ببنية

(١) معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة، سعيد علوش، دار الكتاب اللبناني، بيروت - لبنان، ط١، ١٩٨٥م: ٩٧.

(٢) قاموس مصطلحات التحليل السيميائي للنصوص، رشيد بن مالك، الناشر، احمد الماضي دار الحكمة، تونس ط١، ٢٠٠٠: ١٥٢ - ١٥٣.

(٣) مرجعيات بناء النص الروائي، عبد الرحمن التمار، دار ورد للنشر والتوزيع، عمان - الأردن، ط١، ٢٠١٣: ٥٢ .

النص تأخذ مساراً ذاتياً، وتصبح خلقاً جديداً بعد أن كانت موضوعاً عاماً أو مادة خاماً، ذلك أن الممارسة النقدية على النصوص الأدبية تحاول أن تكشف عن عملية التحول في المادة الأصل والتغيرات التي حدثت لتلك المرجعيات، فلا يوجد نصّ منعزلٌ عن سياقه وفضائه البيئي الذي أنتج ونما داخله، إذ إنّ الأديب لا يكتب من فراغ، فهو دائماً مُحاط بتكوينات ثقافية متعددة، تؤسّس وتمدّد عمل الوعي الروائي والمخيّلة بالدلالات والاشارات، فضلاً عن ذلك، لا توجد " مطابقة بين الصورة الذهنية والمرجع الذي تحيل العلامة اللغوية أو التعبير اللغوي عليه، بل انزياح ومفارقة بين المستوى التعبيري ومستوى الموجودات المادية من حيث هي مرجع" (١)، فالمطابقة المتماثلة بين النص ومرجعياته، لن تكون حاضرة بشكل متماثل وخطي؛ ذلك أن النص الأدبي قائم على خلق مسافة متوترة، مهمتها كسر الطبيعة الخطية للواقع داخل النص، وهذا سيخلق لنا فجوة ومسافة جمالية، تعمل على تكوين انفصال ومباعدة، بين صورة المرجع الخارجي والمرجع الداخلي، الذي يؤسسه النص ويتلاعب بحدوده وممكناته؛ ليكون غير خطي، ومفترقاً نسبياً عن الإحالة المباشرة، وهذا هو ميدان الاشتغال الجمالي في النص الأدبي. وإذا كان لا بد من توصيف للمرجعيات على المستوى التشكيلي والدلالي، فإنها ستكون "مرجعيات ثقافية" ومعلوم أن مفهوم الثقافة شامل ومتعدّد، يندرج تحته المادي والمعنوي، إذ يتشكّل منه إدراك الانسان ومعرفته بكل أحوال مجتمعه، وهذا ما جعل مفهوم الثقافة مفهوماً مكانياً وزمانياً، يختلف من بلد إلى آخر، ومن مجتمع إلى آخر، فهو " ذلك الكل المُعقّد الذي يشمل المعرفة والمعتقدات والفنون والقانون والأخلاق والعادات والعرف وكافة المقدرات والأشياء الأخرى التي تُؤدّي من جانب الانسان باعتباره عضواً في المجتمع" (٢) فالثقافة بهذا التعريف هي طبيعة مجتمع معين، وتصورات عامة تخص مجتمعاً معيناً في زمن معين، فالثقافة ليست مفهوماً فردانياً، بل هي تأسيس وتلقّ جماعي، وبناءً على ما تقدم يمكن القول إن المرجعيات الثقافية هي " مجموع الخلفيات والابعاد المعرفية والفكرية

(١) تقنيات السرد الروائي في ضوء المنهج البنوي، يمنى العيد، دار الفارابي، بيروت - لبنان، ط١، ١٩٩٠: ١٧.

(٢) الثقافة (دراسة في علم الاجتماع الثقافي)، حسين عبدالحاميد أحمد رشوان، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية - مصر، ط١، ٢٠٠٦: ٨.

والثقافية التي ينطوي تحتها الخطاب الأدبي، وعادة ما تكشف لنا هذه الخلفيات والابعاد عن أيديولوجيا وثقافة أمة من الأمم في العالم، أو مجتمع من المجتمعات، داخل القارة الواحدة، تكشف عن عاداتهم، وتقاليدهم، لغتهم تفكيرهم وغير ذلك^(١). إن طبيعة المرجعيات الثقافية تهض على تصورات مجتمعية، محكومة بمكان، وزمان، ونصوص تأسيسية، وذائقة أدبية، وتصورات، وعادات وتقاليدهم، كل هذه المكونات تمثل مرجعيات ثقافية عامة تتمظهر في النص الأدبي، على اعتباره بنية كتابية منطلقاً من واقع معين في زمن معين.

الرواية: التعلق الثقافي/الجمالي

تتمتع الرواية بأهمية وخصوصية تجعلها تنماز عن بقية الاجناس الأدبية، وفي طليعة هذه الخصوصية، قدرتها على توظيف الحملات المرجعية، ذات الطبيعة المعرفية المتماسكة، ولاسيما للدين، التاريخ، الأيديولوجيا، ولعل المنتبج لمسار الرواية يجدها على مستوى الموضوعات الحديثة، قد انخرطت في قضايا جدلية حساسة، تتعلق براهن المجتمعات وأزماتها، ومصير الإنسان وموقفه من الكثير من القضايا، التي تطرأ على حياة المجتمعات؛ لهذا صارت الرواية " اليوم أداة من الأدوات الفعالة في التعبير عن المواقف والقضايا والأفكار والأيديولوجيات والفلسفات المعاصرة التي يصطدم بها الواقع، وتصدرع في جنباته، فلم تعد ذلك الفن الذي يقدم المتعة الفنية أو التسلية الذهنية فحسب^(٢). فالرواية لم تعد تقدم فناً جمالياً محضاً، وإنما عملت داخلياً على المستوى المعرفي، وصارت منهمكة بتطوير بنيته المعرفية الداخلية، فأصبح النص الروائي المعاصر، قائماً على تآزر وتخدام بين بنيتين جمالية ومعرفية، وهذا التخدام يجعل الرواية الحديثة تقترب من كونها " بحث معرفي ذو طابع ابستمولوجي، ولكن بوسائط جمالية"^(٣). إن الرواية الحديثة أصبحت تستثمر جمالياً في المرجعيات الثقافية إدراكاً منها بضرورة التفاعل مع

(١) المرجعيات الثقافية بين المفهوم والتوظيف، حكيمة سبيعي و هولي بوزياني خولة، مجلة البحوث والدراسات المجلد (١٦) العدد (٢٠) صيف ٢٠١٩ : ٢٥٧.

(٢) الرواية الإسلامية المعاصرة، حلمي محمد القاعود، مصر القاهرة- دار الايمان، ط١، ٢٠٠٨ : ١٣.

(٣) النقد الروائي والأيديولوجيا_ من سوسيولوجيا الرواية إلى سوسيولوجيا النص الروائي_، حميد لحداني، المركز الثقافي العربي، بيروت - الدار البيضاء، ط١، ١٩٩٠ : ٤٠.

الواقع وتحولاته، فلم تعد الرواية مجرد فن جمالي، وإنما تحولت لبنية تفاعلية على مستوى الموضوعات ذات الحمولات الثقافية، وتحررت من أحادية المنظور الفني/ الفكري وانتقلت من كونها "مدونة نصية شبه مغلقة إلى خطاب تعددي مرتبط بالموثرات الثقافية الحاضرة له. والتعدد يأخذ مظاهر كثيرة: تعدد في العناصر السردية المكونة للحكاية، وتعدد أساليب السرد، وتعدد في الصيغ، وتعدد في مواقف الشخصيات ورؤاها ومواقفها، ولعل إحدى الظواهر السردية البارزة في مسار الرواية العربية هي استثمارها تعدد المرجعيات الثقافية الخاصة بالأعراق، والسلالات، والثقافات، والقيم التقليدية، والمرأة والهوية والآخر".^(١) إن التحديد الاجرائي لطبيعة الإحالات المرجعية للرواية، وتناولها لموضوعات إشكالية ذات طبيعة مركبة، يسمح للمرجعيات الثقافية أن تكون ضمن بنية إحالية، تحرر الرواية من ضغط المستوى الجمالي، لصالح الطبيعة الموضوعاتية، وهذا يمنح الرواية خصوصية وحساسية، في قدرتها على الاشتغال على المرجعيات الثقافية، بوصفها إطاراً منبثقاً من قوة الواقع، يدفع باتجاه إعادة قراءة الواقع وتحريره، والانخراط في سجلاته المعرفية المتعلقة بالهوية، الآخر، التاريخ. المكان، الدين، كما أن طبيعة حضور وتمثل المرجعيات في النص الروائي، سيكون خاضعاً لمنظور ذاتي/ موضوعي حسب الطبيعة الأيدولوجية للكاتب، وهذا يمنح النص الروائي مساحة لمناقشة تلك المرجعيات والدخول في حوار معها، وإعادة مساءلة تلك المرجعيات، فالرواية من أهم "نظم التمثيل اللغوية قدرة في العالم الحديث من حيث إمكاناتها في إعادة تشكيل المرجعيات الواقعية والثقافية وإدراجها في السياقات النصية، ومن حيث إمكاناتها في خلق عوالم متخيلة توهم المتلقي بأنها نظيرة للعوالم الحقيقية، ولكنها تقوم دائماً بتمزيقها وإعادة تركيبها بما يوافق حاجاتها الفنية"^(٢). إن بعض النصوص الروائية الحديثة ولاسيما التي دخلت في سجلات المجتمع وقضاياها، تذهب إلى عدم التسليم بالقناعات القارة حول تلك القضايا، وذهبت لإعادة

(١) الرواية العربية وتعدد المرجعيات الثقافية، عبدالله ابراهيم، بحث ضمن كتاب: الرواية العربية، إمكانات السرد، أعمال الندوة الرئيسة لمهرجان القرين الثقافي الحادي عشر (٢٠٠٤) ج(٢)، الناشر، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ط١، ٢٠٠٨ : ١١.

(٢) السردية العربية الحديثة، عبدالله ابراهيم، المركز الثقافي العربي، بيروت- الدار البيضاء ط٢٠٠٣: ١٠.

تحرير القراءة، والتموضع داخل البنيات الهشة للمجتمع، ثم حاولت تقويضها وتقديم نماذج بديلة، ذات طبيعة أكثر ملامسة لروح العصر وأكثر قبولاً للآخر، بمعنى آخر استطاعت بعض النصوص الروائية أن تحقق موقفاً عبر تبنيها لمنظور معين تجاه بعض القضايا الحساسة، ولعل هذا الموقف الذي يتشكل داخل النص الروائي، هو وليد مرجعيات ناظمة للمستوى المعرفي داخل الرواية، من هنا ندرك أهمية المرجعيات الثقافية للنص الروائي، فالمرجعيات مهمة على المستوى الفني الجمالي و على المستوى الثقافي الدلالي، فالمرجعيات الثقافية تعمل بشكل بنائي نسيجي متعالق، داخل بنية النص الروائي، وهذا يقودنا للبحث عن تلك المرجعيات الثقافية، وتحديد طبيعة المرجعيات المهيمنة، والتي قد تكون (تاريخية، دينية، مكانية، أيديولوجية، انثروبولوجية، سياسية) هذه الأنماط المرجعية قد تحضر جميعاً وتتعالق على المستوى الدلالي؛ لكن بنسب متفاوتة، فيتاح للرواية بناء تصورات ثقافية معاصرة، ويمكنها من التفاعل مع الإنسان وقضاياها الراهنة، بشكل معرفي/جمالي.

المرجعيات الثقافية المهيمنة:

إن البنية الروائية بنية يتضائف فيها الفني متمثلاً بالسرد وتقاناته، والثقافي متمثلاً بالمرجعيات الثقافية، ومعلوم أن تأثير المرجعيات الثقافية يتمظهر في خطاب الفواعل السردية بشكل واضح وكبير، فلكل شخصية روائية رئيسة خطاب، يستمد حملته من طبيعة البناء الثقافي لتلك الشخصية، وهذا يجعل السرد يفتح على سياق خارج نصي، فتحيل العلامات اللغوية المتمثلة باللغة، لإحالات خارج نصية، يحاول القارئ عبرها الكشف عن تلك المرجعيات، وقوة حضورها داخل النص الروائي، ومعلوم أن هذا الفصل ما بين البنية الفنية والثقافية، يتأتى من أهمية تحديد تلك المرجعيات، والكشف عن طرائق اشتغالها، ورواية يوليانا تهيمن فيها المرجعيات التاريخية والدينية والمكانية بشكل واضح ومباشر، وهو ما يدفعنا لتحديد تلك المرجعيات الثقافية، وتحديد مسارات اشتغالها داخل النص الروائي.

١- المرجعية التاريخية:

يمثل التاريخ واحداً من البنى والروافد التي تتأسس منها مرجعيات النص الروائي، فالعديد من النصوص الروائية المعاصرة، قد اتخذت من التاريخ إطاراً ناظماً لبنيتها الجمالية

والمعرفية، وثمة أسباب تجعل الروائي يذهب لاستعادة التاريخ بوصفه مرجعاً ثقافياً، تنتشر به بنية النص الروائي، ولعل في طبيعة هذه الأسباب هو الهروب من الواقع الراهن باتجاه الماضي، أو محاولة قراءة الوقائع التاريخية بتأويلها داخل النص الروائي عبر رؤية الشخصيات للأحداث، ذلك أن التاريخ في واحد من معانيه يحيل إلى " استقصاء الإنسان واقعةً إنسانية منقضية سعياً إلى التعرف على أسبابها وآثارها " (١). وإذا كانت الرواية المعاصرة تقوم على مرجعيات فنية تخيلية ومرجعيات ثقافية، فإن بعض الروايات تجعل من بعض الأحداث التاريخية زاوية انطلاق لها، تعمل كمرجعيات ثقافية حقيقية متصلة بالحدث التاريخي، فالنص الروائي أحياناً يحيل لواقعة تاريخية تكون حجر زاوية في بنية النص الروائي، وهذه الواقعة أو الخبر التاريخي يشكل منطلقاً جمالياً وثقافياً تنتشر به بنية النص الروائي على المستوى الجمالي والثقافي.

إن طبيعة الحدث التاريخي يحيل للماضي البعيد أو القريب؛ لكنه زمن ماض بكل الأحوال، و علاقتنا بالماضي على مستوى الوعي الجمعي تتميز بالحنين والعودة المتواصلة إلى الماضي، فالتاريخ دائماً جزء أصيل ومكون أساس في بنية العقل العربي، فالروائي حين يعتمد الذهاب إلى التاريخ فإنه يقدم إعادة قراءة للماضي؛ ولكن وفق اشتراطات الحاضر وبذلك فإنه يجعل من التاريخ مادة أدبية وخامة للكتابة تمتلك خاصية الاستمرار والتواصل، وهكذا يمكن أن تكون الرواية ذات المرجعية التاريخية قابلة للاستمرار والتواصل النسيجي مع الحاضر فالأحداث التاريخية المهمة، وكذلك الشخصيات التاريخية، تقوم على بعد دلالي عابر لحدود، الترهين الزمني أو المكاني، وهذا يمنحها بعداً ومزية يجعلها قابلة للإقامة في المستقبل، وتوظيفها كمرجعيات ذات بعد رمزي متواصل، لا يتحدد بزمن معين. إن جعل المرجعيات التاريخية، -أحداث أو شخصيات- بنية نسيجية في المتن الروائي، سيجعل من التاريخ متفاعلاً مع بنية النص الروائي على المستوى الجمالي والمعرفي، فالنص الروائي متحول وغير ناجز؛ لهذا نجده يميل إلى التجريب والانفتاح على المستوى الفني، كذلك على المستوى الثقافي، سنجد

(١) الرواية وتأويل التاريخ، فيصل دراج، المركز الثقافي العربي، بيروت - الدار البيضاء، ط١، ٢٠٠٤:

التاريخ يحضر في النص الروائي عبر مناصات مباشرة أو غير مباشرة، تسحب النص التاريخي من سكونيته وتدخله في جدل جمالي/ ثقافي يمكن معه إعادة قراءة التاريخ، لكن على وفق شروط الحاضر، وهذا يقع في صلب الاشتغال الجمالي/ المعرفي للرواية الحديثة وممكناتها الثقافية.

في رواية يوليانا نجد المرجعية التاريخية تشكل بنية ثقافية/ جمالية تتضايغ بشكل نسيجي مع البنية الروائية، فالرواية تنطلق من زاوية تاريخية حرجة، في تاريخ مدينة (الموصل) بعامة و(كرمليس) بخاصة، وهي أحداث تاريخية حقيقية، تتعلق بما يسمى بـ (مشكلة الموصل) فقد أوفدت عصبة الأمم لجنة من عدة شخصيات بتاريخ ٣٠ / ٩ / ١٩٢٤ وكان من بينهم الكونت بول تلكي رئيس وزراء المجر^(١). فحضور الشخصيات الفاعلة تاريخياً، يحيل النص الروائي لأحداث ذات وثوقية تاريخية ويحيل النص لسياقات خارج نصية، لتتشكل لدينا المرجعية التاريخية عبر هذه الشخصيات، ولعل من بين وظائف حضور المرجعيات التاريخية المباشرة هي إعادة تركيب الحياة في فترة من فترات التاريخ^(٢). فرواية يوليانا تسعى لإعادة تركيب الحياة على المستوى الاجتماعي والديني والسياسي لمدينة الموصل بعامة وكرمليس بخاصة، من عام ١٩٢٥ وحتى عام ١٩٨٧: ((منذ أن مرَّ بها الإمبراطور الروماني تراجانوس، سنة ١١٦، إلى أن بدأت الحرب العالمية الأولى، وبلدة كرمليس منقطعة تماماً عن المفاخر. لم يتحرك فيها الأمل، إلا حين توقفت في عام ١٩٢٥، بالقرب من كنيسة القديسة بريارة، سيارة رئيس وزراء المجر السابق الكونت بول تلكي، الذي أوفدته عصبة الأمم لتقرير مصير الموصل)).^(٣) هذه الواقعة التاريخية هي نقطة انطلاق الرواية، وهي مرجعية تاريخية خارج نصية استثمرها الكاتب؛ ليمنح النص الروائي بعداً وثوقياً تاريخياً، مطابقاً للواقع في بعض تفاصيله، فالرواية تتخذ من بلدة كرمليس وتحولاتها حدثاً روائياً، فالمرجعية التاريخية

(١) للاستزادة حول مشكلة الموصل ينظر: مذكرات عبد العزيز القصاب، إعداد وتحقيق، خالد عبد العزيز القصاب، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط١، ٢٠٠٧ .

(٢) ينظر: الرواية والتاريخ بحث في مستويات الخطاب في الرواية التاريخية العربية، نضال الشمالي، عالم الكتاب الحديث، الأردن- عمان، ط١، ٢٠٠٦ : ١١٤ .

(٣) يوليانا، نزار عبد الستار، دار نوفل هاشيت أنطون، لبنان- بيروت ط١، ٢٠١٦ : ٩ .

محكومة ببنية وثائقية تاريخية، وهذه الوثائقية تمنح النص الروائي بعداً ثقافياً وجمالياً، فالاستهلال الروائي يفتح النص على التاريخ ليكون مرجعاً ثقافياً، وهو انفتاح خارج نصي، مهمته منح المتن الروائي مرجعية تاريخية وإحالة بؤرية، ونقطة انطلاق تاريخية تتسم بالمطابقة مع الواقع، فالرواية تستحضر بشكل معرفي وجمالي، عتبة زمنية تبدأ من عام ١٩٢٥ وهذا التاريخ هو العلامة الفاصلة في تاريخ بلدة كرمليس، فالبلدة ستتحرك ابتداءً من هذا التاريخ بشكل تصاعدي، ذلك أن شخصية الكونت (بول تلكي) ستسبب الكثير من التحولات لاحقاً، وإذا كان لا بد من رصد المرجعية المهيمنة في المتن الروائي فيمكن أن نعد رواية يوليانا ذات مرجعية تاريخية مهيمنة، فالرواية مهتمة بإعادة تركيب الحياة في بلدة كرمليس والموصل من عام ١٩٢٥ وحتى عام ١٩٨٧، وهذه النواة الزمنية المهيمنة هي نواة تاريخية مشتبكة وملتحمة بشكل نسيجي، بحركة الفواعل السردية، وفي مقدمتهم شخصية (ججو) ثم (حنا) وما بين بقية الشخصيات وتفاعلها داخل المتن الروائي، بمعنى آخر إن طبيعة المرجعية التاريخية تتيح للكاتب بناء الحياة بشكل يتساوق مع المعطيات الثقافية/التاريخية و الجمالية / الفنية التي يستجيب لها النص الروائي كجنس أدبي، قادر على ضخ حمولات معرفية واستيعاب مدة زمنية طويلة، تصل لمئات السنين، وهذا ما نجده في رواية يوليانا، فجوهر الرواية قائم على مرجعية تاريخية خبرية تتسم بالموضوعية ومطابقة الواقع الخارجي، وإذا توغلنا في المتن الروائي سنجد أن حضور المرجعية التاريخية على مستوى الأحداث والشخصيات، يتصاعد بشكل واضح مؤشراً على أهميتها، فنجد حضوراً لشخصية (الخوري بولس تمو)^(١) وهي شخصية تحضر على المستوى الواقعي التاريخي، وكان لها موقف من التقرير الذي كتب من قبل لجنة عصابة الأمم المتحدة، ولاسيما فيما يتعلق بحقيقة وجود قبرين حقيقيين للقديسة بربارة وخادمتها يوليانا:

(١) سير الآباء الكلدان (١٩٠٠ _ ٢٠٠٠)، آزاد صبري، نشر وتوزيع، دار الحاج هاشم، العراق - أربيل ط١، ٢٠٠٦: ٤٦.

((أرسل خوري الخورنة الروحية القس بولس تمّو رسالة إلى نائب القنصل الإنكليزي في الموصل يتّهم فيها بريطانيا بالتآمر على اليقين الروحي لبلدة كرمليس))^(١). إن طبيعة حضور الفواعل السردية داخل رواية يوليانا يمنح الرواية ويغلفها بمرجعيات تاريخية قائمة على مطابقة للواقع الخارج نصي، من جانب آخر إذا حاولنا رصد البؤرة السردية التي تنطلق منها الحكاية فنجد أننا أمام شخصيتين تستمدان حضورهما من التاريخ الديني الكنسي وهما شخصية (بربارة) وخدامتها (يوليانا) فطبيعة حضورهما هو حضور تاريخي وروحي يستمد منهما (ججو) و(حنا) طاقتهما الروحية، فالشخصيات هنا ذات طبيعة روحية / تاريخية تتمتع بضرب من القداسة الدينية والتاريخية، ورواية يوليانا تستثمر في التاريخ الديني والاجتماعي والسياسي لبلدة كرمليس بخاصة، والموصل بعامة، وهذا يجعل المتن الروائي بنية معرفية/جمالية يصعب الفصل بينهما، ذلك أن البنية الروائية تحيل أحياناً بشكل مباشر لواقع حقيقي خارج نصي كالمراجعيات التاريخية أو المكانية، وأحياناً لواقع نصي متخيل بواسطة المرجعيات التاريخية، التي تتحول لاحقاً، لبنية فنية جمالية ملحقة بالبنية الجمالية بعامة للمتن الروائي.

إن حضور بعض الشخصيات التي تتمركز الرواية حولها، يسهم في تحديد طبيعة المرجعية التاريخية، الخاصة والعامة لتلك الشخصيات؛ ذلك أن الشخصيات التاريخية تنتمي إلى سياق تاريخي عام وسياق تاريخي خاص، فرواية يوليانا من عتبة العنوان نجدها تحيل لشخصية تاريخية/روحانية تنتمي إلى سياق تاريخي عام، فشخصية (يوليانا) خادمة القديسة بربارة، تمتد على طول مساحة الرواية، وهذا يحيل لحضور التاريخ كمرجعيات ثقافية لهذه الرواية، ولأن الرواية الحديثة كبنية جمالية مهتمة بالتاريخ، لكن ليس على أساس النقل الحرفي والتطابق المباشر، لهذا نجد شخصية (يوليانا) تحضر في الرواية كمرجعيات تاريخية في بدايات النص، ومع تصاعد الأحداث تحضر شخصية (يوليانا) بوصفها ايقونة روحية وتاريخية، ولكنها تمر بتحول مفارق ومختلف عن طبيعة حضورها في السياق التاريخي العام، فالروائي يستثمر في التاريخ الخاص ويحاول تركيب تاريخ شخصي خاص، قائم على افعال واقوال، لا تتفق مع التاريخ العام للشخصية

(١) يوليانا: ١٠.

وسياقها الاجتماعي والروحي، فالكاتب يشيد مرجعية تاريخية نصية، لا يمكن لها أن تتطابق مع التاريخ الواقعي الخارج نصي، وهذا النمط من المرجعية النصية، خاضع لجماليات وضروريات فنية، تتعلق بالرواية كجنس أدبي، قابل للتحول والمغايرة المتواصلة، فشخصية (بوليانا) تتسحب من التاريخ لتدخل في حيز جديد هو (بوليانا) ذات المرجعية الجمالية، والتي لا تتسم بالمطابقة مع ما هو خارج نصي إلا في سياقها التاريخي العام. ((رأى أشعة الضوء الأبيض تخترق فراغات هيكله من الخلف، وتدفع بظله إلى الحائط. استدار ببطء فوجد أمامه فتاة من بياض مخلوط برذاذ الذهب تبتسم بملاح عجيبة أخذت تتضح شيئاً فشيئاً قالت له: لا تحزن.. حتى لو اختلف المكان وتغيرت الوجوه، فأنت تحمل قلبك نفسه. أذهب إلى أمك الآن ولا تعد إلى هنا. سألها من أنت؟ ردت وهي أكثر وضوحاً: أنا يوليانا التي تحبها.))^(١). هذه الصورة التي تنهض على استدعاء صورة فنتازية لشخصية (بوليانا) مختلفة عن المرجعية التاريخية/ الواقعية؛ ذلك أنها تنتمي للتاريخ كشخصية روحية معلومة التاريخ والمكانة، لكنها في المتن الروائي تتحول إلى شخصية تاريخية مختلفة، تتمتع بطاقة سحرية على التشكل والظهور، هذه الصورة السحرية والغرائبية، تتشكل وتستمد تاريخها الخاص من التخييل الروائي، وهو ما يجعل الشخصية تتمتع بتاريخ نصي، مختلف عن الواقع الخارج نصي؛ والواقع النصي يشكل تاريخاً خاصاً للشخصية داخل النص الروائي، ويمكن للقارئ ملاحظة أن التاريخ الخاص للشخصية الروائية، يفيد من المرجعيات التاريخية بمعناها العام، ولاسيما في مجال الشخصيات، التي تحولت إلى رموز تاريخية وروحية، بمعنى آخر يعمد الوعي الروائي، إلى تكوين تاريخ نصي خاص بالشخصية، داخل النص الروائي؛ بيد أن هذا التاريخ النصي ينتمي إلى مرجعية تاريخية عامة، فطبيعة شخصية (بوليانا) داخل النص الروائي تحضر بشكل مختلف، وظهورها بصيغ متباينة، يكشف عن التضاييف ما بين الشخصية التاريخية والشخصية النصية، وما بين الصورتين ثمة مطابقة واختلاف، والذي يجمع بين هاتين الصورتين هو التاريخ العام / الخاص .

٢- المرجعية الدينية:

(١) يوليانا: ٧٢-٧٣.

تشكّل المرجعيّات الدينية إسلامية أو مسيحية، مصدرًا مهمًا من مصادر الثقافة الروائية، وتعمل على دعم مرجعيّات النص الأدبي، ويمكن الكشف عن المرجعيّات الدينية، عبر توظيف الكاتب للنص الديني بشكل مباشر، أو توظيف الأدبيات الدينية بوصفها بنية مرجعية، ورافدًا ثقافيًا يتفاعل داخل البنية النصية للرواية، ومعلوم أن المجتمعات العربية بعامة هي مجتمعات دينية/ نصوصية تشكل الثقافة الدينية، حجر زاوية في بنيتها المعرفية، ولقد أهتمت الرواية العربية وانهمكت بتوظيف الحملات الدينية عبر مصادرها الأساس "القرآنية"، والتوراتية، والإنجيلية، بالإضافة إلى توظيف الحديث الشريف، والتراتيل الدينية، والفكر الديني، ولاسيما فكرة المخلص، والفكر الصوفي، الذي حظي باهتمام عدد من الروايات.^(١) إن هذه المصادر وتنوعاتها الخطابية تشكل مصدرًا ثقافيًا يندرج ضمن الخطاب الروائي، فالمرجعيّات الدينية حين تحضر في النص الروائي لا تحضر بشكل عابر أو هامشي، وإنما تحضر بوصفها مرجعية ثقافية نسيجية، ملتزمة بالفرد على المستوى العميق، فيمكن لنا فهم طبيعة وأهمية المرجعية الدينية في تكوين النص الروائي، فالمرجعيّات الثقافية بعضها يحضر بشكل مباشر، ولاسيما الدينية المباشرة، وقد تحضر بشكل غير مباشر، كأن تكون حضورًا واسعًا للأدبيات ذات التأثيرات الدينية، أو الفكر الديني، والصوفي/ العرفاني أو البعد الطقوسي، والتي بمجملها تحيل لمجموعة المرجعيّات الدينية، ذات الحملات والتجليات الطقوسية أو الشعائرية، ورواية يولينا كما أسلفنا تدور أحداثها في الشمال الشرقي للموصل، وهو مكان يتسم بطابع ديني، تحتشد فيه الكنائس والمزارات الدينية المسيحية، فالرواية تتخذ من الشخصيات الدينية، ذات المرجعيّات الروحية و الشخصيات ذات الرتب الكنسية، محورًا لحكايتها الرئيسية. في النص نجد المرجعيّات الدينية، التي تشكل إطارًا ناظمًا لأحداث الرواية، فشخصية (ججو) الرئيسة تمارس طقسًا دينيًا وتسعى لنيل رتبة دينية، ويعزز هذا الزي الخاص بالشخصية:

(١) توظيف التراث في الرواية العربية، محمد رياض وتار، منشورات اتحاد الكتاب العرب، سورية-

دمشق، ط١، ٢٠٠٢: ١٣٩.

((يحدث ذلك يومي الجمعة، والأحد، حين يتجول ججّو بنيامين في كرمليس ليعظ المؤمنين، وهو ظاهر الرأس من قماش أبيض يسدله على بدنه كي يكون مقتعاً. يوزع بين الفلاحين وأصحاب المتاجر، بركاته السريعة، قبل أن يستعمل الأمثال اليسوعية في تخفيف طمع الأغنياء، وفي حثّ الفقراء على تقبّل المزيد من الشقاء. لم يحدث أبداً أن تمكن من سبق الخطيئة، وحين يتدخل كمنسوب ربانيّ بصليبه الفضّي الثقيل، ليمنع وقوع الإثم، يتلقى الشتائم، وأحياناً الركلات، وفي النهاية تلاحقه الأحجار، فيجرّ آلامه إلى الكنيسة، ملطّخاً بوحل الانكسار، وقد صغرت روحه، وتفتقر قلبه. عندها يرسم القسّ يوسف كوماني شارة الصليب، معزراً إيمانه، ويقول له جملته التقليدية: الشرّ يحقق الثروات، ويبني القوة، ويجلب الاحترام، أما الخير فيصلب المسيح))^(١). في النص نجد حضور المرجعيات الدينية، عبر عوامل كثيرة منها الطقس الوعظي لـ(ججو) في انحاء مدينة كرمليس، كذلك اختيار أيام محددة، كذلك الزي الديني الكنسي الخاص، كما يمكن رصد المرجعيات الدينية ذات الطبيعة الخطية المباشرة للشخصية الرئيسية، فالنص تم تأنيثه على المستوى الفني بالبعد الديني، كذلك البعد الدائلي العام لمناخ الرواية بعامة، وهذا يمنح النص بعداً طقوسياً دينياً، يستمد مشروعيته من المناصات والأدبيات الدينية، ذات الحمولات التسامحية وتحمل الأذى من قبل الآخرين. إن شخصية (ججو) الحاملة برتبة دينية تتأسس أبعادها على هذا الطقس الوعظي الكنسي، داخل أسوار مزار (القديسة بريارة) وخارج المزار الديني فالنص يحمل بعداً دينياً، يعمل على تشكيل مرجعيات دينية فاعلة، تتشكل نواته داخل المتن الروائي؛ ذلك أن طبيعة رواية يوليانا قائمة على تقويض صورة التدين القشري، فطبيعة شخصية (ججو) تتمتع بنبل وطهر روحي، يستمد قوته من البعد الديني، وهذا السلوك محكوم بطبيعة التربية والتنشئة الكنسية الدينية، إذ نلاحظ البعد السلوكي لهذه الشخصية، التي تتعرض للإهانات والتحقير والضرب الحجارة. فإن الشخصية الرئيسية هنا تحاول استباق وقوع الخطيئة وتحاول منعها بوعظ الناس، وهذا السلوك للشخصية الدينية، هو جوهر البنية الدينية وأدبياتها، ف (ججو) يحاول الدخول في حرب وصراع مع الخطيئة قبل وقوعها؛ لكنه يتعرض للأذى الكبير من

(١) يوليانا: ٢١.

قبل المجتمع المحلي لمدينة كرمليس؛ بسبب من طبيعة شكله والعاهات التي ينوء بها جسده. إن اختيار هذه الشخصية التي تنوء بالعاهات، يتساوق مع طبيعة الخطاب الديني التسامحي، ويتعاطى من البعد الروحي للفرد، وليس مع الشكل الخارجي، الذي يمثل قشرة للفرد، إن (ججو) يمثل واحداً من المرجعيات النازمة لبنية النص الروائي على المستوى التشكيلي والدلالي، فصليبه الثقيل المعلق في صدره، يتقل خطواته وهو ينسحب ويجر آلامه نحو الكنيسة ليقابل الأب (يوسف كوماني) الذي يعيد ترميم روح (ججو) بعد أن صغرت وخارت طاقته بفعل الرفض المحلي لهذه الشخصية. إن القارئ يستطيع ملاحظة الطقس ذا الحملات الدينية، وكذلك طبيعة النص الروائي ذي النزعة الدينية التوتيرية، التي تؤمن بإعادة تحرير قراءة النص الديني، وتقديم المحتوى التسامحي على المحتوى الأصولي الشكلي، ويؤمن بإمكانية الروح وممكناتها، بوصفها منارة تقود خطوات الإنسان، التي تتجاوز فيها الفضائل مع الرذائل. إن طبيعة البنية الدلالية لرواية يوليانا تنهض على حملات ومرجعيات ذات طابع ديني مباشر وغير مباشر، ويحضر هذا على طول الرواية. في النص أيضاً نجد صورة ثانية للشخصية الرئيسية (ججو)؛ لكنها صورة داخلية من داخل مزار وكنيسة القديسة بربارة الشهيدة.

((توجه إلى باب المذبح وهو يعرج أكثر من أي وقت آخر، كما علمه القسّ يوسف، وقف ناظراً إلى الرخامة التي فوق الباب وقرأ في قلبه "عظيمة كانت الرؤيا التي رآها أشعيا في الهيكل المقدّس، إذ رأى السرافين بأعداد غفيرة تصرخ قدّوس قدّوس الربّ الإله. الأرض مملوءة من مجده والسماء مغطّاة بهائه ". وتوجّه بعدها إلى الزاوية الشماليّة الشرقيّة. انحنى أمام قبر القديسة بربارة، وألقى نظرة على صورتها المعلّقة على الحائط. على رأسها التاج، وتحمل بيدها كأس المسيح، وبيسراها السيف. قال في قلبه إنّها أجمل امرأة مقتولة))^(١).

في هذه الصورة الداخلية والفردية لـ(ججو) نكتشف المرجعية الدينية، والبعد الديني للمكان وللشخصية، فالشخصية تكون قد تعرضت لعمليات ضرب، وإهانة، وتحقير، متواصل أثناء طقس الوعظ الخارجي في قصبات كرمليس، فالشخصية تدخل وقد ازداد عرجها،

(١) يوليانا: ٧٢.

وتفاقت مشاكلها الصحية والروحية، فالوعي الروائي يتجلى في رسم المرجعية الدينية الداخلية وينقل لنا صورة الشخصية، وهي متفعة ببعدها الديني، ويبين هيلمانها الروحي الداخلي، على مستوى المكان والشخصية، فالرواية بالكامل تدور بين قطبين رئيسيين هما مزار (القديسة بربارة) و خادمتها (بوليانا) وشخصية (ججو) هي المسافة الواصلة بين هاتين الشخصيتين الدينيتين، إذن نحن أمام ثلاثة فواعل مهيمنة، هي الشخصيات الثلاث والمكان الديني، وما بين المكان الديني والشخصيات تتجلى المرجعيات الدينية، فالمرجعيات في واحدة من صورها تمثل أو تشكل حيزاً حاوياً للفواعل السردية، وهذا الحيز المرجعي المكوّن من المكان ذي الطبيعة الدينية كشكل معماري، ينهض على وظيفة روحية دينية، فالمكان يحتوي أفعال الشخصيات وتطلعاتها، وأحلامها، وآمالها، وممكناتها، على المستوى التشكيلي، فثمة امتداد وتواصل على مدار الرواية ما بين شخصية (ججو) ثم ابنه (حنا) وهذه المسافة المتكونة داخل النص الروائي من أحداث كلها ذات طبيعة دينية حفل بها النص الروائي. إن دخول (ججو) إلى داخل المزار الكنسي المكلف فيه بخدمة (الشهيدة بربارة) وخادمتها (بوليانا) يكشف بشكل واضح، عن المرجع الديني المكوّن لشخصية (ججو) وتأثره بهذه الحياة الدينية وحياة الرهبنة، التي تقرضها الكنيسة بوصفها بنية حياتية متكاملة، تتبع من الداخل نحو الخارج، كذلك يمكن أن نشير إلى التضمينات الدينية التي تحضر بشكل مباشر، بوصفها بنية داعمة للبعد الديني وممكناته البلاغية: ((قدّوس قدّوس الربّ الإله. الأرض مملوءة من مجده والسماء مغطّاة ببهائه))^(١). إن الطبيعة المرجعية للمناسق الدينية تعمل بشكل مباشر على رصد المرجعية الدينية، فالمناسق يحضر بوصفه تعصيلاً لرؤية (ججو) العرفانية/ الذاتية وهو يؤدي طقوسه الدينية داخل الكنيسة وخارجها، فطبيعة المناسق وسياق حضوره داخل النص الروائي، يعمل على توجيه المرجعيات الدينية، بشكل يتطابق مع رؤية الشخصية الروائية، وهو ما نجده في رؤية شخصية (ججو)، فهو شخصية دينية غير مكتملة؛ لكن سلوكياته وأقواله وكل ما يصدر عنه، هو ذو طبيعة دينية؛ لكنها لا تتفق بشكل مباشر مع التدين الكنسي المباشر و التدين الشعبي، إذن يمكن القول إن طبيعة حضور الشخصية على

(١) الكتاب المقدس، العهد القديم، أشعيا الآيات (٤-١) .

المستوى الفني، كذلك مرجعياتها الثقافية بعامة، تعمل على بلورة وكشف تلك المرجعيات التي تتخذ صوراً وأشكالاً مختلفة ومتباينة، فشخصية (ججو) هي كيان ديني، وعلى المستوى الفني حاول الكاتب جعلها متماسكة ومتطابقة على مستوى الخطاب، والحكاية، واللغة، وهذه المكونات جميعها تنطلق من رؤية دينية غير تقليدية، وإنما تحاول جاهدة ائصال فكرة مختلفة عن الدين الكنسي، وذلك عبر الرؤية العرفانية/ الذاتية التي لا تتشابه مع أحد، وإنما هي تجربة روحية فردية، تستمد مشروعيتها من صدق التجربة، من جانب آخر فإن طبيعة الممارسات العملية للشخصية، تتشكل على وفق تأثير المكان الديني، كمعمار ديني له وظائف وخصوصية دينية، تلقي بظلالها على بنية النص الروائي، وتمنحه بعداً دينياً يجعل الشخصية منخرطة في خطاب ديني وعظي، يتقوم بمناسبات دينية وحمولات روحية، ثم نجد حضور القبر أو المزار الديني بوصفه أيقونة تتمتع بطاقة روحية، تستمدّها الشخصية من المزار الديني، متمثلاً بقبر القديسة (بربارة) وخادمتها (يوليانا).

كذلك نجد في الرواية حضوراً مباشراً للمناسبات الدينية:

((بقي الفاضل نوثيل يلدا السادس طوال الطريق إلى كرمليس يردّد من المزامير " أحفظني من الفخّ الذي نصبوه لي ومن أشراك فاعلي الإثم"))^(١). في هذا المناسبات الدينية نجد المرجعيات تنقلنا بشكل مباشر لمرجع خارج نصي، وهذا المرجع هو الكتاب المقدس، فالمناسبات الدينية المقتبس من الكتاب المقدس، يحضر بشكل مباشر، منطامناً ومتسقاً مع المرجعيات الدينية المكوّنة لرواية يوليانا، فالرواية تحاول تقديم رؤية عرفانية فردية تستمد قوتها الحجاجية من مناسبات ثقافية ذات مناخ ديني، وهذا بعامة يحيل لطبيعة المرجعيات الثقافية المكوّنة للنص الروائي، فثمة تنوع في طبيعة المرجعية الدينية، فالمناسبات الدينية ذو الطبيعة الإحالية المباشرة ((أحفظني من الفخّ الذي نصبوه لي ومن أشراك فاعلي الإثم))^(٢) يعمل بشكل يتمتع بالكثافة والابجاز والبلاغة، وإذا كانت المرجعيات الدينية المباشرة قليلة في النص الروائي، فإن هذا يجعلنا نذهب باتجاه طبيعة

(١) يوليانا: ١٦٨.

(٢) الكتاب المقدس، العهد القديم، المزامير، مزمور ١٤٠، آية، ٩ .

التكثيف ذي المرجعيات الدينية، الذي يتمتع به المناص الديني الخارج نصي، فطبيعته الإحالية تجعل هذه المناصات ذات أهمية عالية؛ لأنها تعمل كموجهات تتساق مع طبيعة النص الروائي ذي النزعة العرفانية المسيحية، فشخصية (الفاضل نوئيل يلدا السادس) تحضر في الرواية بوصفها ذات نزعة دينية تسامحية، تستمد طاقتها من الطقوس الكنسية، والنصوص الانجيلية وسير القديسين، فشخصية الفاضل (نوئيل) تحاول اكتشاف طبيعة الادعاءات التي يرويها (حنا)، والتي تذهب باتجاه رؤية (حنا) لـ(يوليانا) وكيف أنها تسكن معه في البيت ذاته في حي الدواسة، هذه الحكايات التي تسربت من (حنا) للمجتمع الكنسي جعلتهم في شك كبير واستخفاف بما يقوله، وبناءً على هذا أوفد المجمع الكنسي الفاضل (نوئيل) للتحقق من صحة مرويات (حنا)، وهذا المناص الديني في أعلاه يعمل بفاعلية كبيرة في بنية الرواية، فالفاضل (نوئيل) يدعو أن يحفظه الله من تلك الفخاخ، التي قد تكون نصبت له، وربما قد توقع المجتمع الكنسي في ايهام، وتلاعب ببعض الحقائق الدينية ذات الوثوقية العالية.

إن طبيعة المرجعية الدينية المكونة لهذا النص الروائي، تحاول أن تتظاهر على المستوى المعرفي والجمالي، متوسلة بالطقوس والمعمار ذي الطبيعة الدينية، والمناصات الدينية المقدسة لتقدم رؤية شديدة الكثافة والحساسية، تعمل داخل بنية النص الروائي بوصفها رافداً ثقافياً، يجعل من الرواية بالمجمل، ولاسيما محكي النص، بنية ذات طبيعة معرفية تتخادم مع البنية الفنية، ولعل في طليعة هذه العناصر المعرفية البانية، هي المرجعيات الثقافية بعامة، والدينية منها بخاصة، فطبيعة رواية يوليانا تحيل القارئ لطقس ديني روحاني، ذي نزعة عرفانية قائمة على رؤية فردية للدين، فنمة قيم دينية وسلوكيات مخالفة للواقع المعروف في الطقس الديني، فشخصية (ججو) وابنه (حنا) تعملان على سحب مفهوم الدين ومن ثم اعادة تحديده، بشكل يعمل على تحرير النص والطقوس الدينية من ثباتها، إذن نحن أمام توظيف جمالي ومعرفي يتجلى في طبيعة المرجعيات الثقافية النازمة لرواية يوليانا.

٣- المرجعيات المكانية:

يمثل المكان إطاراً حاوياً للأحداث على المستوى الفني، بيد أنه على المستوى الدلالي يعمل كظهير ثقافي، ورافعة حضارية تسهم في منح الشخصيات هوية ثقافية، ويعمل على

صياغة قيم تؤثر في الأفراد والمجتمع بشكل عام، فالمكان يتحول من جغرافيا وحدود معلومة إلى "حقيقة معاشة، يؤثر في البشر بالقدر الذي يؤثر فيه، فلا يوجد مكان فارغ أو سلبي، ويحمل المكان في طياته قيماً تنتج من التنظيم المعماري كما تنتج من التوظيف الاجتماعي"^(١). إن طبيعة الحضور المكاني في بعض الروايات، تكشف عن قوة المكان وسلطته وتأثيره، فنجد حضوراً لتأثيرات ثقافية، وفلوكورية، وطبائع، وقيم، متعلقة بطبيعة المكان بوصفه تكويناً ثقافياً، قادراً على التأثير في الفواعل السردية وتشكيل هوياتها، من جانب آخر يعد المكان جزءاً صميمياً من المرجعيات الثقافية للنص الروائي، ذلك أنه يتسم بالثبات، وثباته جوهري، تتغير أحواله الخارجية وتأثيراته الخارجية؛ لكنه يبقى يتمتع بسلطة ضاغطة على الشخصيات والأحداث الروائية؛ فطبيعة المكان الجغرافية حدوده وحيوزه، تتعالق مع التاريخ، وتسهم في صياغة الشخصيات وتكوين منطقاتها، فالمكان رهين التاريخ، بمعنى آخر إن المكان مرتبط بالتاريخ ومتفاعل معه، ذلك أن المكان جغرافية متصلة بتاريخ المكان، ولا يمكن فصل أحدهما عن الآخر، فثمة تواشج على المستوى الفني والثقافي، فالمكان تواريخ متصلة، شاهدها الجغرافيا بوصفها مكاناً، ويمكن القول إن هذا التوصيف لعلاقة المكان جغرافياً بالتاريخ ينطبق بشكل دقيق ومباشر، على المكان الواقعي حين يكون بطلاً رئيساً في النص الروائي، وتتمظهر سلطته على الشخصيات فإنه سيتحول في الرواية، من كونه دالة فنية إلى كونه مرجعاً ثقافياً، وسلطة مهيمنة على مجرى الأحداث وتشكلها، وهذا يكشف عن طبيعة المكان ثقافياً، ويبين لنا كيف يعمل على صياغة الهوية السردية والثقافية للشخصيات الروائية، ويعمل على تحديد منطقاتها ومسارات تشكلها فنياً وثقافياً، فالمكان هو التاريخ مشتبكاً بالجغرافيا ومتصلاً بها نسيجياً لهذا نجده " يتخذ دلالاته التاريخية والسياسية والاجتماعية من خلال الأفعال وتشابك العلاقات،"^(٢) وإن طبيعة المكان ولاسيما الواقعي في النص الروائي تمنح

(١) مشكلة المكان الفني، يوري لوتمان، ترجمة: سيزا قاسم دراز، بحث ضمن كتاب جماليات المكان، مجموعة من الباحثين، عيون المقالات، دار قرطبة الدار البيضاء، ط٢، ١٩٨٨: ٦٣.

(٢) انشائية الرواية العربية الحديثة، محمدالباردي، منشورات اتحاد الكتاب العرب، سورية-دمشق، ط٢٠٠٠، ١: ٥٨.

الشخصيات مداها الفني فتظهر متأثرة ومؤثرة في المكان؛ ولهذا نجده يتحول لفاعل مرجعي على المستوى الفني والثقافي في مجريات الحدث الروائي.

إن رواية يوليانا تشغل على المكان بوصفه تاريخاً ومجموعة قيم وتقاليد، ولاسيما الأماكن الضاربة في القدم والعراقية مثل مدينة الموصل وضواحيها، فالرواية تهتم بمدن الضواحي التي تسكنها أعراق، وأديان، وهويات، متنوعة وهذا التنوع منح ضواحي الموصل كمكان ثراءً ثقافياً وتنوعاً فكرياً وهوياتياً، فالتباين الاثرائي ولید المكان وترميزاته الطبيعية، فوجد المكان يحضر بوصفه فاعلاً جمالياً رئيساً في المتن الروائي، ويعمل كمرجع ثقافي للشخصيات الروائية، وتتكشف المرجعيات الثقافية المكانية من خلال مجموعة من المحددات منها: العادات، والتقاليد، الأزياء، اللغة/ اللهجة، المعمار.. الخ هذه المسارات العامة تشكل بنى ثقافية مرمزة، يكونها ويفرزها المكان، ليشكل في النهاية مرجعية ثقافية، تسهم في تشكيل البنى الثقافية المكونة للبنى الروائية على المستوى الفني والثقافي.

((استأذن الكونت من مضيفه الكرمليسي ورجع إلى سيارته ليكتب في دفتر ملاحظاته أن " أهالي كرمليس يتوهمون امتلاكهم عظام القديسة بربرة، وخدامتها يوليانا، وبما أن هذا يتعارض مع وثائق خط بروكسل، والقديسة بربرة وخدامتها يوليانا، وفق ما نؤمن، ولدتا ودُفنتا في منطقة أزمير في الأناضول، أوائل القرن الثالث الميلادي، فإن اعتقادهم يُعدّ جنوحاً خرافياً، وميلاً عاطفياً مؤثراً.))^(١). في النص نجد حضور المكان الواقعي (كرمليس) بوصفه جزءاً من التاريخ، ونتمتع هذه المدينة بكونها مزاراً روحياً مسيحياً، فيها قبر القديسة (بربرة) وخدامتها (يوليانا)، وهو المكان الذي تنطلق منه أحداث الرواية، ويشكل حجر زاوية في بنية النص الروائي، فجميع الشخصيات الفاعلة في المتن الروائي، متأثرة ومؤمنة بوجود هذه الشخصيات الدينية، مدفونة في مدينتهم (كرمليس) بينما تحاول بعض القوى والشخصيات، اعتبار هذا التصور مجرد جنوح خرافي.

إن مدينة (كرمليس) ذات الدلالة الواقعية تسهم في صياغة تصورات ورؤى الفواعل السردية على امتداد النص الروائي، فشخصية (ججو) ثم ابنه (حنا) محملة بثقافة المكان وهويته وترميزاته، ويعمل المكان كعنصر ضغط كبير ومهيمن، على مستوى صياغة

(١) يوليانا: ٩.

التصورات الثقافية والدينية والروحية للشخصيات، وكذلك على مستوى الشكل الخارجي المتعلق بالملابس، فهذه المدينة التي تعد من مدن الضواحي في الموصل، كما أسلفنا تتمتع بخصوصية هوياتية، انعكست على طبيعة ساكنيها، فشخصية (ججو) من الشخصيات الرئيسة التي ستبقى في مدينة كرمليس تدافع عن تصورات معينة، وعلى امتداد سيرة هذه الشخصية الكرمليسية، نجد مظهرات المستوى الثقافي للمكان، بوصفه مرجعية ناظمة لطبيعة وهوية الشخصيات الساكنة ضمن هذا الفضاء الجغرافي، ولا بد من الإشارة إلى طبيعة التداخل ما بين الجغرافي الملتبس بالتاريخ وهذا ما نتلمسه في هذا الموقع من الرواية. ((يحدث ذلك يومي الجمعة، والأحد، حين يتجول ججو بينامين في كرمليس ليعظ المؤمنين، وهو ظاهر الرأس من قماش أبيض يسدله على بدنه كي يكون مقنعاً. يورّع بين الفلاحين، وأصحاب المتاجر، بركاته السريعة، قبل أن يستعمل الأمثال اليسوعية في تخفيف طمع الأغنياء، وفي حثّ الفقراء على تقبل المزيد من الشقاء))^(١). في هذا النص نجد (كرمليس) كمكان ذي مرجعية دينية، فالمكان الحامل لمزارات وكنائس متعددة، يعمل كظهير ثقافي على المستوى الديني، ويعمل على صياغة بعض من المرجعيات المكانية، لتتحدد كعنصر دلالي في النص الروائي، فمدينة (كرمليس) تظهر في هذه المدة التاريخية من المنظور الديني وابعاده المتمثلة بالجانب العمراني، وطبيعة الفواعل السردية الواقعة تحت ضغط المكان، ولعل رواية يوليانا اهتمت بالمكان الواقعي الملتبس بالتاريخ واشكالياته، فخط السير المكاني للرواية يبدأ من (كرمليس) وينتهي في (الموصل) وما بين كرمليس والموصل، تتشكل المرجعيات الثقافية ولاسيما المكانية، وتعمل على نقل الأثر والخصوصية المكانية، من مدن الضواحي لمركز المدينة في الموصل، هذا التأسيس للتخادم ما بين مدن الضواحي والمركز الحضري للموصل، يكشف عن خيوط ثقافية مشتركة، للفواعل السردية على امتداد الرواية، وفي أعلاه نجد طبيعة حضور شخصية (ججو) خادم مزار القديسة (بربارة وخادمتها يوليانا)، يمارس وظيفته الدينية التي يؤمن بها، فالطقوس الدينية تعمل كمرجعية ثقافية وليدة هذا المكان ومهيمناته الهوياتية، فشخصية (ججو) تعاني من تشوهات جسدية، وشك في قدراته العقلية؛ لكنه

(١) يوليانا: ٢١.

مصر على الرغم من رفض أبناء كرمليس رؤيته كخادم للفديسة بريارة وخادمتها وخادماً للمزار الديني؛ لكنه يواصل عمله بناءً على عنصر ثقافي، يظهر فيه المكان كظهير ثقافي، ومرجعية تسهم في صياغة منظور هذه الشخصية.

في هذا النص اللاحق نجد ما تكلمنا عنه حول عملية التجسير الثقافي ما بين المكانين الأساسيين في الرواية وهما (كرمليس) و (الموصل)، ففي تطور سريع يضطر (ججو) إلى مغادرة مدينة كرمليس نحو الموصل، ويسعى الروائي هنا للكشف عن عمق العلاقة النسيجية وبيان أثر التفاعل المكاني، بوصفه مرجعاً وظهيراً ثقافياً مرتبطاً بالمكان ونتاجاً عنه، فالمكان الواقعي يحمل بين طياته تصورات ناجزة واحكاماً يشحن بها شخصياته، وتعمل بوصفها أحكاماً ومواقف حول الكثير من القضايا: ((نال جَجْو تعاطف آل الدبوني من الذين ارتبطوا بعلاقات تجارية مع أبلحد، ولأنه يملك تصوراً وافياً عن خياطة الأزياء التقليدية لقرى الكلدان مثل الدشاديش المقلمة، والشوقتا، والشبوكتا، والزخما؛ فقد اشتغل بالملابس العسكرية، واستأجر، بتزكية من الوجيه نذير الدبوني، دكاناً في شارع حلب بمدخل زقاق بتول بقلوة. كان ذلك امتيازاً كبيراً، فكل الذين يلوذون بالموصل من قرى الشرق والجنوب لا يحصلون سوى على الأرصفة))^(١).

حين يسافر (ججو) من كرمليس مكرهاً يستقر في الموصل، ليعمل خياطاً، فنجد حضور المكان عبر ثقافة الأزياء، فطبيعة هذه الملابس التي يجيد خياطتها ججو هي (الشوقتا، الشبوكتا، الزخما، الدشاديش) هذه الأزياء التقليدية تستحضر المكان وطبيعة سكانه وبعدهم الهوياتي، فتنمظهر في أشكال يتداخل فيها المكان بالجغرافيا ذات التباين الهوياتي، فالمكان يستحضر معه تراثه على الرغم من تحول موقعه مكانياً، وانتقاله إلى فضاء أكبر حجماً، وأكثر تنوعاً من الضواحي لمركز المدينة، فشارع (حلب) هو القلب التجاري للموصل، وهو سوق ذو طبيعة متنوعة يحمل ضمن خرائطه الدلالية تنوعاً هوياتياً، ويعكس طبيعة المكان التي تحفل بالتنوع، فمدينة الموصل وقلبها التجاري يتمتعان بالقدرة على تقديم تنوع مكاني، يعكس أماكن متباينة الثقافات والمرجعيات اللغوية، ولعلنا نستطيع هنا الإمساك بطبيعة المكان كعنصر ومرجعية ثقافية، تسهم في

(١) يوليانا: ٧٥.

صياغة المرجعيات الثقافية للشخصيات الروائية، فالروائي يعمل بشكل واضح على الكشف، عن طبيعة التجسير المكاني، ما بين الضواحي ومركز المدينة، فثمة خيوط خفية وعلنية تعمل على تقديم رؤية بانورامية لطبيعة الاحتفاء المكاني، كعنصر جمالي على المستوى الفني، وبشكل ثقافي يعمل كمرجعيات ناظمة لطبيعة منظور الشخصية، فد(ججو) استحضر معه ثقافة المكان القادم منه، وعلى امتداد الرواية، يحافظ على هويته الثقافية، أمام هوية المدينة وتنوعها الكبير. إن طبيعة الموصل كمكان، لا تتفصل بشكل حاد وقاطع، عن التكوينات القادمة من الضواحي أو المدن الهوامش المحيطة بالمدينة، كمركز حضري يتمتع بالعراقة والتاريخ، وهذا ما أشرنا إليه. إن المكان الواقعي عادة يلتبس فيه الجغرافي بالتاريخي، وهذا ما تحاول رواية يوليانا الإشارة إليه، وتحاول إبراز طابعه فنياً وثقافياً، فالمكان الواقعي يُستحضر فنياً ومعرفياً، بكامل أبعاده الجغرافية والتاريخية، وتستحضر ثقافته وعناصره البانية، فالوعي الروائي يعمل على منح المكان بعداً ثقافياً، ويجعله على المستوى الفني، عنصراً كاشفاً ورئيساً، لطبيعة الفواعل السردية وهي تتحرك على مسرح المكان، عاكسة مرجعياتها المرتبطة بالمكان.

الخاتمة

- ❖ إنَّ رواية يولينا تكشف عن مرجعيات ثقافية مهيمنة، تمثلت بالمرجعية الدينية، والتاريخية، والمكانية، فالرواية تحاول عبر هذه المرجعيات، إعادة تركيب الحياة، في المدة الممتدة من عام ١٩٢٥ وحتى عام ١٩٨٧.
- ❖ تتمظهر المرجعية الدينية في أشكال وصيغ تعبيرية مباشرة / تناصية مع الكتاب المقدس، والطقوس الدينية الكنسية، والمعمار الديني، كما نجد أنَّ الرواية تستثمر في نقد الخطاب الكنسي المباشر، وتحاول تقديم رؤية دينية عرفانية، مفارقة ومباينة للتدين الرسمي والشعبي.
- ❖ يمكن رصد المرجعية التاريخية من الاستهلال الروائي التاريخي، فثمة بعد وثائقي تاريخي، يتعلق بمشكلة تاريخية/ سياسية سميت آنذاك بـ (مشكلة الموصل)، والرواية تعيد قراءة التاريخ وتركب الوقائع، التي ترتبت بناءً على تقرير عصابة الأمم المتحدة، فنحن أمام تركيب ثقافي/ فني جديد يحاول فيه الروائي تقديم رؤية بانورامية، تنطلق من مكان هامشي هو مدن الضواحي متمثلاً ببلدة (كرمليس) ثم مكان مركزي هو مدينة (الموصل).
- ❖ للمرجعية التاريخية صيغ وأشكال معرفية متنوعة، ولعل في طليعتها، توظيف شخصيات تاريخية/ واقعية معروفة وفي مقدمة هذه الشخصيات (الشهيدة بربارة) و(خادمتها يوليانا)، كذلك توظيف شخصيات معروفة تاريخياً مثل (بول تلكي) و(بولس تمو)، هذه الشخصيات تنتمي إلى سياق تاريخي عمومي، ولكن الرواية لا يمكن لها أن تطابق حرفية الواقع ومباشرته، فتسعى لتأسيس تاريخ نصي جديد لهذه الشخصيات، بشكل يتفق مع الإطار العام لتاريخ هذه الشخصيات.
- ❖ شكل المكان مرجعية ثقافية تتأزر وتتخادم مع المرجعيات الدينية، وذلك بسبب من طبيعة المكان وخصوصيته الهوياتية والمعمارية، فنجد ظهوراً وتجلياً للمكان، بوصفه دالاً و حاملاً ثقافياً للعادات، والتقاليد، والأزياء، ذات الخصوصية المكانية، فثمة بعد هوياتي و ثقافي لطبيعة المكان، تكشف عنه الرواية، عبر حركة الشخصيات في المكان، وهي تتفاعل حاملة ثقافتها المكانية الأم.

*Cultural references in Nizar Abdul Sattar's novel 'Juliana'***Qais Omar Muhammad *****Abstract**

The novelist text is based on a textile synergy between contextual cultural references, and between textual technical references, related to the requirements of the literary genre and its possibilities. It consists of a cultural and aesthetic structure, in which cultural references (historical, religious, spatial) are represented and then used in a textual aesthetic form, and this gives the narrative text a referential dimension outside the text, referring to various cultural contexts. We have an aesthetic textual reference, and an external reference represented by the general history of the characters, the facts with a documentary dimension, the realistic spatial reference, which refers to the specificity of identity and anthropology, and the intertextual religious reference, which evokes religious texts and ecclesiastical rituals, and costumes with religious loads.

Key words: references, cultural, Julian.

* Lect/ The General Directorate of Education of Nineveh/Ministry of Education/Republic of Iraq.